Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب دائرة المعارف الإسلامية

١٥

بغداد

بقلم

اشترك، السيد عبد الرزاق الحسني، عبد العزيز الدوري

Streck & S. A. Hasani & A. A. Duri

لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية

إبراهيم خورشيد • د. عبد الحميد يونس • حسن عثمان

Bibliotheca Alexandrina
0007532

دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بغداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب دائرة المعارف الإسلامية
١٥

بغداد

بقلم
شترك ، السيد عبد الرزاق الحسني ، عبد العزيز الدوري
Streck & S. A. Hasani & A. A. Duri

لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية
ابراهيم خورشيد • د. عبد الحميد يونس • حسن عثمان

دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة

طباعة - نشر - توزيع

الادارة العامة

الصنائع - مقابل مدخل الاذاعة اللبنانية
هاتف: ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٣٧٠ - ٣٤٩٢١٩
ص.ب: ٣١٧٦ - تلكس: LE٢٢٨٦٥
برقيا: كتالبان - بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٨٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وهذا هو الكتاب الخامس عشر من « كتب دائرة المعارف الإسلامية »، ويتناول بغداد قصبة الخلافة ودرّة المدائن الإسلامية التي كانت منارة للفكر والأدب والفن في القرون الوسطى، وكانت تشع منها أرقى ما بلغته الحضارة من نور يوم أن كان الغرب يسبح في دياجير الظلام.

وقد فصل الكلام عن تاريخها وتخطيط المدينة القديمة وعمارتها واسواقها وبيمارستاناتها ومساجدها ودور العلم فيها مستشرق هو شترك وكاتبان عراقيان من أكبر كتاب العراق وعلمائها هما الاستاذ السيد عبدالرزاق الحسني والاستاذ عبدالعزيز الدوري.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المستشرق شترك فمستشرق مشهور جنح إلى الدراسات الأثرية والجغرافية، وأسهم بمقالات كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية، ومن آثاره: أرض بابل القديمة في كتب الجغرافيين العرب، واللغة العربية، وكربلاء.

وأما الاستاذ السيد عبدالرزاق الحسني فأستاذ عراقي فاضل شغف بتاريخ العراق وبلدانه، وتتبع حضاراته الأولى على توالي الأزمنة والقرون، وهو يجنح إلى دراسة معتقدات العراق وطوائفه الدينية.

وقد ألف ونشر بعض الكتب والرسائل في ذلك أودعها جوهر ما جمعه من مطالعاته ودروسه وزبدة مشاهداته، وأهم كتبه: تاريخ البلدان العراقية، وله إلى ذلك: الأغاني الشعبية، والصابئة قديماً وحديثاً، والبابليون في التاريخ، والخوارج في الإسلام، وتاريخ الوزارات العراقية، وتعريف الشيعة.

وأما الدكتور عبدالعزيز الدوري فقد تولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منصب الاستاذية في جامعة بغداد، وأهم كتبه: كتاب النظم الإسلامية، وأسهم إلى ذلك بمقالات كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية عن البلدان العراقية والنظم الإدارية في الإسلام.

ابراهيم زكي خورشيد
رئيس تحرير النسخة العربية
من دائرة المعارف الإسلامية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« بَغْداد » : حاضرة العراق (بابل)[1] في الوقت الحاضر، وقد كانت فيما مضى قصبة العباسيين الزاهرة وعاصمة العالم الإسلامي، وهي الآن أعظم البلاد شأناً في الولاية المعروفة بالاسم نفسه والتي كان يحكمها باشا فيما سلف، ويخترقها دجلة، وهي على خط عرض ٣٩ْ ١٩َ شمالا وخط طول ٤٤ْ ٤٤َ شرقي كرينوتش.

---

(١) بابل مدينة قديمة كانت عاصمة دولة بابل، أما العراق فقطر مساحته ١٤٣٠٠٠ كيلو متر، وبابل جزء صغير جدا من العراق الوسطى لا تتجاوز مساحته الخمسين كيلو مترا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ا - تاريخها

اسم بَغداد - ونطقه الشائع الآن « بُغداد » - فارسي من غير شك، ومعناه عطية الله أو هبته. وقد روي في العصور الوسطى بصيغ مختلفة، منها بَغْدان وهي أكثرها ذيوعاً. وكان الناس يفضلون دائماً هذا الاسم الجاهلي بغداد [1]، أما الاسم الذي أطلقه المنصور على المدينة التي أنشأها وهو « مدينة السلام » أو « دار السلام » فقد انحصر استعماله في الشؤون الرسمية بصفة عامة، ومن ثم ضربت السكة به، وقد أخذ منه اللفظ اليوناني إيرونومولس. وتضاربت أقوال كتاب العرب تضارباً كبيراً في أصل هذا الاسم الأخير ومعناه، ولعل المنصور تفاءل به فاختاره لحاضرة ملكه.

---

(١) قد تحقق اليوم ان اللفظة ليست بفارسية بل هي آرامية تفيد معنى باب الأله او باب الضان او دار الغزل. فهي بل دودو او بكداد أو بيت كدادا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المؤكد أن دار السلام فيها إشارة إلى الجنة، لأننا نجد بعد ذلك أن بغداد أصبحت أحد المواضع الأربعة التي أطلق عليها المسلمون جنة الأرض، وهذه المواضع هي الأبلة وغوطة دمشق ووادي بَوّان ببلاد فارس وبغداد، ومهما يكن من شيء فإن الفرس قد فهموا مدينة السلام أو دار السلام على هذا المعنى، وشاهد ذلك أنهم نقلوه إلى لغتهم فقالوا « بهشت آباذ » أي موضع الجنة، أو الجنة العامرة إذا شئت التدقيق. وهم يستعملون هذه التسمية في الشعر غالباً كما يفعل الأتراك الذين نقلوها عنهم. وتنسب بغداد أحياناً إلى منشئها فيقال « المنصورية ». ولها اسم آخر يشوبه الإبهام هو « الزّوْراء » ولعله صيغة عربية لكلمة إيرانية قديمة أكسبها خضوعها للصور القياسية الشائعة معنى جديداً.

وكثيراً ما خلط الرحالة الأوروبيون في القرون الوسطى بين بغداد وبابل كما خلطوا في بعض الأحيان بينها وبين سلوقية وطيسفون. فقد وردت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بغداد في مؤلفاتهم باسم بابل *Babel* وبابّلونيا *Babellonia* وغيرهما من الأسماء المشابهة؛ وإطلاق هذه التسمية الأخيرة على بغداد شائع في التفاسير التلمودية لشيوخ العشائر البابلية في العصر العباسي وفي مصنفات اليهود المتأخرين. وكان پترو دلا ڤاله *Pietro della Valle* الذي عاش في بغداد بين عامي ١٦١٦ و ١٦١٧ م أول من دحض هذا الخطأ الذي فشا في عهده. وكان الغربيون إلى القرن السابع عشر الميلادي يعرفون بغداد بالصيغة المحرفة بلدخ *Baldach* أو بلدتشو *Baldacco*.

ومن المحقق أنه كانت هناك محلة منذ عهد سحيق في المكان الذي أصبح بعدُ مقر الخلافة. فقد وجد كل من رولنسون *H. Rawlinson* عام ١٨٤٨ م وأوپيرت *J. Oppert* عام ١٨٥٣ وپونيون وهارپر *Pognon-Harper* عام ١٨٨٩ م قطعاً من الآجر نقش عليها اسم بختنصر الثاني مأخوذة من محجر لا يزال جزء منه باقياً إلى اليوم على الضفة الغربية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لدجلة[1] وهناك بقايا بناء يشبه هذا المحجر أسفل المدينة الحالية بالقرب من قناة الحريم

وليس لدينا حتى اليوم دليل يؤيد الزعم القائل بأن بغداد رسمت في النقوش المسمارية بصيغة « بكدادو » لأننا إذا أخذنا بهذا أصبح في مقدورنا أن نقرأ « حددو » بدلا من « كَدُرَو » وهو الاسم المشكوك فيه لمكان ظهر لأول مرة على حجر من معالم الحدود للملك البابلي « مردخ بلادان » الأول الذي حكم من عام ١١٩٤ إلى ١١٨٢ ق م زد على هذا أنه ليس من المعقول أن اسماً لا شك في إيرانيته يرجع إلى مثل هذا العهد السحيق، كما أن ما ذهب إليه ليتمان ***Littmann*** من أن هذا الاسم ورد في نقوش ثمود مشكوك فيه، ونجد من جهة أخرى أنه من المقطوع به أن هناك إشارتين في التلمود إلى بغداد في العصر الجاهلي، ويمكن الرجوع إلى بحث بلوشيه

---

(١) لم يبق أي جزء من هذا الاثر ظاهرا، وقد يجوز ان هناك جزءاً صغيراً منه قد غمرته مياه دجلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Blochet فيما يختص باحتمال ورود بغداد في نص بهلوي باسم بكداد.

ووضعت مدينة «ثلثي» في موقع بغداد بمصور بطلميوس كما أن مدينة ستاكّة التي وردت بمصنف أكسينفون كانت مجاورة لموقع بغداد.

ومن الخطأ أن نقول إن إسكي بغداد التي فوق سامراء هي أصل مدينة بغداد الحالية، استناداً إلى أن كلمة إسكي معناها بالتركية قديم. وإن كانت هذه التسمية لم تنشأ إلا منذ عهد قريب، فقد جرت العادة بأن تسمى الأطلال باسم المدينة الشهيرة التي تجاورها، وشاهد ذلك قولنا إسكي موصل. ويطلق اسم بغداد على مكان آخر فقط في المشرق هو تل بغداد في الجنوب الشرقي من الرها أسفل خط عرض ٣٧° شمالا.

وأجمع كتاب العرب على أن المنصور لم يشيد مدينته في إقليم خلو من السكان، وذكروا بياناً كاملا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأسماء محلات جاهلية أخذت تندمج تدريجاً في الأماكن التي شملتها العاصمة العباسية فيما بعد. وكانت بغداد أهم هذه الأماكن، وهي قرية نصرانية من أعمال بادوريَا (انظر هذه المادة) على الضفة اليسرى ندجلة، ويلوح أنها كانت تشمل المدينة المدوّرة التي بناها المنصور، كما أنها أضحت نواة لحاضرة العباسيين الجديدة، بل إن بغداد قد أخذت اسمها الشائع منها. ويجب أن نبحث عن معظم المحلات القديمة التي كان جل سكانها من النصارى الآراميين في النصف الجنوبي الذي أصبح فيما بعد الجانب الغربي للمدينة التي على الضفة الغربية لدجلة، في نطاق الحي الكبير الذي به السوق الكبيرة، أي في الكرخ وما جاور الكرخ شرقاً وغرباً. وفي هذا الإقليم قرى أصلها ساساني نذكر منها ما يلي: بَياوَرَى أو بَناورى وسال وشَرْوانِية؛ وسونايا (وقد أصبح اسمها فيما بعد «العَتيقة»)؛ ووَرْدانية؛ وورْثال أو ورْثالا.

وأخذت مدينة الكرخ اسمها من قرية قديمة سابقة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لها في العهد أسسها الملك الساساني سابور الثاني الذي حكم من عام ٣٠٩ إلى ٣٧٩ م. وكلمة الكرخ تقابل في الآرامية كلمة كرخا ومعناها مدينة.

وكانت « بُراثا » التي على مسافة من الشمال الغربي للكرخ بليدة قائمة بذاتها قبل عهد العباسيين، ولكن الجانب الغربي من بغداد اتسع بمرور الزمن فاحتضنها. وكانت قريتا الخطابية والشَرفانِيّة موجودتين في النصف الشمالي من هذا الجانب قبل أن يحل عهد المنصور. وقد عرف هذا النصف فيما بعد بحي الحربية.

ويقول أكسينفون إن الأكميليين كانوا يملكون حدائق فسيحة في إقليم بغداد عند سِتاكه ***Sittake***. وهذا القول ينطبق أيضاً على ملوك الفرس المتأخرين. وأنشئت عمائر في حديقتين من هذه الحدائق الساسانية فكونتا حيين هما دار عمارة بن حمزة وبستان القُس. وابتنى الساسانيون بالقرب من مصب نهر عيسى قصراً أطلق عليه فيما بعد اسم « قصر عيسى ». وأقيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في عهدهم قنطرة وصلت هذه البقعة بالضفة الشرقية لدجلة. وفي هذا المكان أقيم فيما بعد جسر من القوارب وصل بين قصر الخلفاء وقصر عيسى. وكان هناك جسر آخر مشيد في الجاهلية فوق قناة الصراة في الجنوب الغربي من الكوفة، ويعرف هذا الجسر بالقنطرة العتيقة. ولا يوجد من الأماكن التي في شرقي دجلة ما يرجع عهده إلى ما قبل العباسيين سوى سوق الثلاثاء على نهر المُعَلَّى ومحلة المُخَرِّم، وهي أول محلة سكنت في عهد عمر بن الخطاب. وليست هناك صلة بين سوق الثلاثاء وثالثا المذكورة في بطلميوس (جـ ٥، ص ١٩)، لأن ثلثي لاثالثا هو الموضع الذي يتفق وموقع بغداد في مصور بطلميوس. ويؤكد كتاب العرب أيضاً أن المكان الذي أصبح فيما بعد مقبرة الخيزرانية كان قبل عهد المنصور مقبرة للمجوس. ولا شك في أن معظم أديرة النصارى التي ازدهرت في بغداد إبان العهد الساساني قد شيد في الجاهلية، ولدينا من الشواهد الأصلية ما يفيد أن قصر الخلفاء المعروف بالخلد على الضفة الغربية لدجلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيد مكان دير قديم، وأن مكاناً من الأمكنة التي عند ماتقى الصراة بدجلة قد أنشىء لمثل هذا الغرض، كما نستدل من الاسم الذي أطلق عليه في عصور متأخرة وهو « الدير العتيق ».

ولم يكن لمحلة من هذه المحلات القديمة الكائنة في الموقع الذي قامت عليه بغداد فيما بعد أي شأن من الناحيتين السياسية والتجارية. ولذلك فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن المدينة التي ابتناها المنصور ثاني خلفاء العباسيين كانت مؤسسة جديدة بمعنى الكلمة.

وجرت العادة في المشرق أن يعقب تغير الأسرة الحاكمة انتقال مقر الحكم، وقد كان من المتعين على العباسيين بصفة خاصة أن يتخلوا عن دمشق قصبة أسلافهم التي ظلت على ولائها للأمويين، لأن هذه المدينة كانت قريبة من حدود الروم كما كان مركزها القاصي ناحية الغرب لا يلائم دولة تمتد أراضيها من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السند. ومن السهولة بمكان أن نتوقع أن تنقل الأسرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاكمة الجديدة مقر ملكها من الشام ،وهو إقليم فقير ضئيل الشأن، إلى العراق الغني بموارده الطبيعية. زد على هذا أن إقليم العراق قدر له أن يكون حلقة الاتصال بين العالم السامي والعالم الإيراني فأصبح بذلك واسطة العقد بين العنصرين الرئيسيين اللذين تألفت منهما الجماعة الإسلامية. ومما يجدر ذكره أيضاً أنه فضلا عن أن جل قوة العباسيين كانت في فارس لاعتمادهم على جند خراسان، فإنه لا شك في أنه كانت لهم مصلحة خاصة في نقل حاضرتهم ناحية المشرق، وما إن قاموا بتأسيسها حتى غدت ذات خطر في السياسة والثقافة.

وإنا لنجد أيضاً أن السفاح أول خلفاء بني العباس قد اتخذ مقره على ضفتي الفرات فلم يختر البصرة أو الكوفة، وهما المدينتان الكبيرتان اللتان كانتا موجودتين منذ الفتح الإسلامي الأول للعراق. وبديهي أن هذا لم يأت عفواً. فقد كان أهل الكوفة نزاعين إلى الشغب هواهم مع العلويين، أما البصرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكانت لا تصلح حاضرة للدولة بالنسبة لموقعها في الجنوب. ولذلك فضل السفاح الهاشمية (انظر هذه المادة) بالقرب من الأنبار. وشيد خلفه المنصور مقرّاً له بهذا الاسم على مقربة من الكوفة، ولكنه سرعان ما تخلى عنه لأنه كان مجاوراً للكوفة البغيضة إلى نفسه لتعصبها للعلويين، وبحث المنصور عن مكان جديد يصلح مقرّاً لحكمه وجنده، واختار آخر الأمر بقعة على دجلة فوق مصب نهر عيسى، وهو أكبر قناة من قنوات الفرات، وكان في هذه البقعة كما سبق أن بينا قرية تعرف ببغداد وعدة محلات صغيرة أخرى.

ويجدر بنا أن نعترف بأنه قد تحقق الطالع الذي أنبأ الخليفة بحسن هذا الموقع وصلوحه لتشييد حاضرته الجديدة، والحق أن الخليفة لم يكن أمامه أطيب منه، لأن الأرض الخصبة التي تمتد بين دجلة والفرات عند اقتراب أحدهما من الآخر حيث تصل بينهما قنوات صالحة في بعض أجزائها للملاحة فيتألف من هذا كله مجموعة مائية منظمة، وحيث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصب ديالى[1] في دجلة فيكون ممراً طبيعياً يمكن بواسطته الوصول إلى الهضاب الإيرانية المرتفعة، هذه الأرض كانت على الدوام موطناً للحضارة ومهداً للثقافة الشرقية القديمة ومركزاً للتجارة وملتقى عدة طرق تصل بين مختلف الأمم. فقد تعاقبت في هذه البقعة الحواضر العظيمة مثل بابل وسلوقية وطيسفون، وورثت مدينة الخلفاء الجديدة هذه الحواضر، وكانت على مسيرة يوم (سبعة فراسخ أو حوالى أربعين كيلومتراً) من طيسفون العاصمة التي سبقتها في الزمن مباشرة.

والحق أن امتداد البطائح في المجرى الأسفل للفرات جنوبي بابل وصعوبة الاتصال الملاحي المتزايدة بالخليج الفارسي يفسر لنا لماذا كان موقع العاصمة منذ العهد السّلُوقي يختار دائماً على نهر دجلة.

---

(١) يغلط معظم كتاب الشرق في كتابة هذا العلم «ديالى» بالتاء الملفوفة وصوابه الألف المقصورة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضع المنصور أول حجر في بناء عاصمته الجديدة عام ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) وجمع العمال من بابل وغيرها، ويقال إن عددهم بلغ مئة ألف، فأتموا في أربع سنوات إنشاء مدينة عظيمة على الشاطىء الغربي لدجلة وفق خطة تجعلها مدوّرة. وبُني في وسطها قصر الخليفة المعروف بباب الذهب أو القبة الخضراء، والمسجد الجامع. وجلبت معظم الأحجار اللازمة للبناء من أطلال طيسفون المجاورة. وقد نشأت المدينة بمعناها الحقيقي حول نواة مدورة ثم قسمت إلى أحياء منفصلة وسرعان ما اتسعت اتساعاً كبيراً، ومن الواضح أن المنصور قد شعر سريعاً أنه منعزل في قصره لتزايد السكان من حوله، أو لعله لم يكن آمناً على نفسه، فشيد بعد بضع سنوات من بناء المدينة المدورة قصراً آخر على دجلة خارج أسوار المدينة وإلى الشرق منها: هو قصر الخُلد. ولا يعتبر المنصور مشيد الجانب الغربي من بغداد، أي المدينة التي على الضفة اليمنى لنهر دجلة فحسب، بل إنه يعتبر أيضاً مشيد القسم الشرقي الذي بني بعد الأول. وفي عام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٥١ هـ (٧٦٨ م) شيد عدة مبان في شمالي المدينة لولده وولي عهده المهدي، وأهم هذه المباني قصر الرُّصافة.

ولم يكن المنصور يقصد بحال أن ينشىء حاضرة الدولة في بغداد بل كان غرضه اول الأمر هو إقامة مدينة على مقربة من الكوفة يعسكر فيها جنوده الخراسانيون، ولذلك قسم الأراضي التي حولها إلى قطاعات وزعها بين أقاربه ومواليه وقواد جيشه، وفعل مثل هذا عندما ابتنى الرصافة. وقد أورد اليعقوبي والخطيب البغدادي بياناً بهذه الإقطاعات.

وينقسم تاريخ بغداد الذي يبدأ بالمنصور إلى عهدين عظيمين: الأول عهد بني العباس الذي دام خمسمئة سنة، وكانت فيه بغداد ـ فيما خلا فترة تبلغ خمسة وخمسين عاماً ـ قصبة دولة إسلامية عظيمة شاسعة الأطراف، وغدت مركز الحياة العقلية وأهم مركز تجاري للشرق الأدنى، وكسفت شمسها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حواضر الولايات في العالم الإسلامي بل إنها احتلت أرفع مكان في العالم المتمدن في ذلك العهد بفضل اتساعها وازدهارها وثروتها. أما العهد الثاني فيبدأ بسقوط الخلافة العباسية إلى وقتنا هذا، ولم تكن هذه المدينة في هذا العهد سوى حاضرة ولاية من الولايات، اللهم إلا فترات كانت خلالها المشتى المختار لبعض الإيلخانية. وهكذا كانت حالها إبان الحكم التركي، فقد ظلت مدة طويلة عالية المكانة باعتبارها قصبة أكبر ولايات الترك وأهمها: كانت تعادل مصر أو تأتي بعدها. وتقلصت رقعة ولاية بغداد منذ ذلك الحين، وضعف لذلك سلطانها السياسي وانحصرت أهميتها شيئاً فشيئاً في الناحية التجارية، واستعادت في هذه الناحية الكثير من مجدها القديم وظلت محتفظة به إلى يومنا هذا. والحق إن تاريخ بغداد بأكمله في عهدها الأول هو في الواقع تاريخ بني العباس، ولذلك فإنه يجدر بنا في هذا المقام أن نقتصر على فذلكة خاصة بتطور التاريخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحلي لهذه المدينة بمعناه الضيق.

بلغت بغداد أزهى عصورها في القرن الذي أعقب وفاة المنصور، أو بوجه أدق في عهد خلفائه الخمسة من المهدي إلى وفاة المأمون، أي من عام ١٥٩ إلى ٢١٨هـ (٧٧٥ - ٨٣٣ م). إذ كانت مساحة المدينة خمسة أميال مربعة أو ستة في الوقت الذي ارتقى المهدي فيه العرش، ولما نقل هذا الخليفة بلاطه إلى الرصافة، أي الحي القائم على الشاطىء الشرقي لدجلة، اتسع هذا القسم من المدينة سريعاً. واستقرت هناك في الوقت نفسه الأسر الغنية وأتباعها من العبيد والموالي الذين يبلغون بضعة آلاف، وشيدت في هذا القسم قصور فخمة أجلها القصر الذي كان مسرحاً للهو والسرور وهو قصر اسرة البرامكة المشهورة ذات الحول والطول الذي انتقل إلى بيت الخلافة سقوط هذه الأسرة الفجائي، وأصبح بذلك نواة المباني العظيمة التي كان يتألف منها قصر الخلفاء على الشاطىء الشرقي لدجلة. وفي بداية حكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرشيد، ولعله أزهى عهود المدينة، أصبح القسم الشرقي ينافس في الاتساع القسم الغربي.

وبعد عامين من وفاة الرشيد اشتجر الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون. وحوصرت بغداد لأول مرة في تاريخها ودام هذا الحصار أربعة عشر شهراً. وحوالى نهاية عام ١٩٦ هـ (٨١٢ م) اطبق جند هرثمة وطاهر، قائدي المأمون، على الأمين في بغداد وعزل هرثمة الجانب الشرقي الذي لم يكن يحميه سوى سور سرعان ما أزاله، بينما عسكر طاهر أمام باب الأنبار فسيطر بذلك على الجانب الغربي، وحدثت مناوشات بين جنود الأخوين المتقاتلين، ودب الشجار بين جنود الحامية والسكان اليائسين، وامتلأ زمن الحصار بالدسائس والغدر على اختلاف أنواعه ورزح الجانب الغربي تحت المجانيق، وتخرب الجزء الأكبر من نصفها الشمالي المعروف بالحربية. ووجد الخليفة نفسه آخر الأمر منعزلا في قصر الخلد على شاطىء دجلة، وما لبث أن وقع في الأسر وهو يحاول الفرار،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقتل في أوائل عام ١٩٨ هـ (٨١٣ م) وبموته رفع الحصار وأصبحت بغداد المزدهرة خرائب ورماداً لأول مرة في تاريخها. فقد دمرت النيران أحياء بأكملها وأتت على سجلات الدولة كلها، ولم ينتعش الجانب الغربي الذي كان أكثر تعرضاً للنيران من سواه بل إنه لم يعد إلى ما كان عليه من اتساع. والطبري هو المصدر الذي ينبغي الرجوع إليه في أخبار الحصار الأول لاستفاضة روايته ولما أورده في وصف المدينة من التفاصيل الدقيقة القيمة، أضف إلى ذلك أن ما ذكره الطبري هو أقدم ما وصل إلينا في هذا الموضوع.

وأثار موت الأمين سخط أهل بغداد، وتمكن إبراهيم بن المهدي العباسي بفضل الخلاف بين الناس الذي اتخذ صورة الشغب من أن يستولي على بغداد ويصبح صاحب الأمر فيها ما يقرب من عامين، غير أن خيانة قواده أجبرته على تسليم المدينة وزمام الحكم إلى الخليفة المأمون. وقد ألحق الحصار الذي حدث في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عهد الأمين ضرراً جسيماً بقصري الخليفة، وهما قصر الذهب في سرة مدينة المنصور المدورة وقصر الخلد على دجلة، فنقل المأمون مقر الحكم إلى الجانب الشرقي من المدينة، واستولى على قصر البرامكة السابق ذكره وبسط في رقعته. وفي عهد خلفه المعتصم الذي حكم من عام ٢١٨ إلى عام ٢٢٧ هـ (٨٣٣ - ٨٤٢ م) قدر لبغداد أن تنزل عن مركزها الممتاز باعتبارها حاضرة الدولة إلى بليدة ضئيلة الشأن هي سامراء على مسيرة ثلاثة أيام من منبع النهر، وذلك لمدة خمس وخمسين سنة. فتحولت سامراء في طرفة عين إلى مقر فخم للخلافة. والسبب المباشر لنقل مقر الخلافة إلى هذه المدينة عام ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) هو أن أهل بغداد أسخطتهم قسوة الجند الخليط من الترك والبربر الذين غدوا في عهد المعتصم جيشاً عدته حوالى سبعين ألف مقاتل، لأن الاحتفاظ بمثل هذه الحامية الكبيرة في حاضرة الدولة أمر محفوف بالصعاب، ويلوح أن حرمان بغداد من بلاط الخليفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعمال الدولة لم يحل بينها وبين التقدم، وكانت هذه النقلة تشعر بأنها لحسن الحظ موقوتة لا يرجى استمرارها طويلا، وكان يحكم بغداد خلال هذه الفترة عمال معظمهم من أسرة بني طاهرالقوية النفوذ.

وفي هذه الفترة التي تعرف بالعصر السامرائي في تاريخ الخلافة حدث الحصار الثاني لبغداد الذي شغل جل عام ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) تقريباً. وأخذ استبداد العمال في سامراء يشتد شيئاً فشيئاً، وكان الترك يقتتلون فيما بينهم، ففر المستعين إلى بغداد في القسم الأصغر من جنده، أما القسم الأكبر من الجنود الترك فقد بقي في سامراء وبايعوا المعتز ابن عم المستعين بالخلافة، ولم يجد المستعين فسحة من الوقت يتم فيها السور حول الجانب الشرقي بأسره والجانب الغربي من بغداد، إذ فاجأه المعتز على رأس جيش وبدأ يحاصر الحاضرة القديمة.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المحاصرون في الدفاع عن أنفسهم خوفاً من عودة الحكم التركي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباطش واستماتتهم في الدفاع، فإن المستعين بضعفه وتردده اضطر إلى التسليم آخر الأمر بشروط مهينة، وتنازل عن كل حق له في الخلافة. وبينما قضى الحصار الأول الذي حدث في عهد الأمين على ازدهار الجانب الغربي من بغداد إلى الأبد فإن الحصار الثاني الذي حدث في عهد المستعين أصاب الجانب الشرقي بأضرار جسيمة، وتخربت أهم أحيائه كالرصافة والشماسية والمخرم وأعيد بناء أجزاء منها فقط بعد ذلك (انظر أخبار هذا الحصار الثاني في الطبري، جـ ٣، ص ١٥٥٣ ـ ١٥٧٨). وظلت الأمور بعد الحصار على اضطرابها وسادت القلاقل وأعمال الشغب في الأعوام ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) و ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) و ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) بنوع خاص.

وأخذ مركز الخليفة في سامراء يتحرج شيئاً فشيئاً لأنه كان في الواقع تحت رحمة القواد من مرتزقة الترك، ولذلك فإن المعتمد سابع الخلفاء بعد المعتصم هجر قصر الخلافة عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م)، وهو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصر الذي اختاره سلفه المعتصم وجعل بغداد حاضرة الدولة للمرة الثانية، ولم يكن يزعجها الترك والبربر الذين كان يحزم أمرهم أخوه الموفق. وظلت حاضرة للدولة لا تنازعها في ذلك مدينة أخرى حتى سقطت دولة بني العباس. وبين رجوع الخلفاء إلى الحاضرة القديمة ودخول امراء بني بويه خمسون عاماً امتازت بامتداد قصر الخليفة امتداداً عظيماً في الجانب الشرقي، وأظهر الخلفاء الثلاثة الذين تولوا بعد المعتمد ـ وهم المعتضد والمكتفي والمقتدر ـ نشاطاً فائقاً في هذا السبيل. وشيدت في العهد نفسه عدة قصور وحدائق شغلت نحو ثلث مساحة الجانب الشرقي بأسره، وكانت تفصلها أسوار عن بقية المدينة. وسرعان ما نشأت أحياء جديدة مكتظة بالسكان حول الحي الفسيح الذي يشغله قصر الخليفة.

وساد السلام بغداد في عهدي الخليفتين الحازمين المعتضد والمكتفي، إذ إن الجند من الأتراك لم يجسروا على رفع رؤوسهم في هذه الحقبة، ولكن ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن مـات المكتفـي حتى أخـذت سلطـة الخلفـاء في التدهور السريع، وازدادت القلاقـل على الأيـام في العاصمة وبخاصة فتن الجند المصحوبة بالحرائق وأعمال السلب والشغب مما أدى إلى اضمحلالها السريع...

[شترك *M. Streck*]

وتحسنت الأحوال عندما استولى على بغداد معز الدولة أحمد الديلمي البويهي عام ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) وجمع في يده ما كان للخلفاء من سلطان، واستمر الحكم في بيته أكثر من قرن، واستولى الأمير البويهي في الجزء الشمالي من الجانب الشرقي على قصر الأمير السابق مؤنس وبنى هو وخلفاؤه من ذوي الميل الفني على توالي الزمن عدة قصور فخمة في ذلك الجزء من المدينة الذي أصبح قفراً منذ حصار عام ٢٥١ هـ، وقد عرفت جميع هذه القصور باسم « دار المملكة ». ومما تجدر الإشارة إليه أن عضد الدولة أعاد بناء قصر الخلد الذي كان للمنصور وجعل منه بيمارستاناً،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأثارت ميول بني بويه الشيعية في كثير من الأحيان عدة فتن.

وبينما كان أهل الكرخ في الجانب الغربي على ما عرف عنهم من نشاط يميلون إلى التشيع، كانت الأحياء الأخرى يسكنها أناس معظمهم من أهل السنة، ولهذا لم يستطع البويهيون قط أن يعيدوا المدينة إلى ما كانت عليه في أزهى أيامها، ولو أن السبب الأساسي الذي من أجله فشلت جهودهم هو انقسام البيت البويهي نفسه بعد وفاة عضد الدولة عام ٣٧٢ هـ (٩٨٣ م) واقتتال أفراده، وانغمست بغداد في هذا النضال أكثر من مرة، وسادتها الفوضى في كثير من الأحيان، وكانت المعارك الدموية بين أهل السنة والشيعة، وبين الترك والديلم، هي الصفة الغالبة على هذا العهد، وانتهز العامة فرصة هذه القلاقل فأعملوا السلب والنهب بما تشتهيه نفوسهم، واستمرت الأحوال على هذا المنوال إلى أن وزر ابن المُسْلِمة للخليفة القائم بأمر الله، فطلب العون من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طغرل بك السلجوقي، ودخل هذا بغداد عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م). وبعد مضي بضع سنوات، أي في عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٩ م) شبت فتنة البساسيري الذي أمر بأن تكون الخطبة باسم الخليفة الفاطمي، وعلى ذلك اضطر العباسيون إلى هجر المدينة، ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا، فما إن رجع طغرل بك بعد ذلك بعام حتى أجبر البساسيري على مغادرة المدينة، واستعاد الخليفة القائم سلطانه عليها، فأضحت الخلافة منذ ذلك الوقت في حماية آل سلجوق الأقوياء. ولم يكن أمراء هذا البيت يقطنون بغداد وقتذاك، بل إن ألپ أرسلان لم يزر تلك الحاضرة قط، ولكنهم أقاموا من قبلهم حاكماً عسكرياً نيط به العمل على استتباب الأمن في المدينة. وكان ملكشاه أول من زارها منهم، ولم يقتصر في ذلك على زيارة واحدة، بل زارها مرات، وعقد عزمه في سنيه الأخيرة على أن يجعل منها مشتى له، ولهذا الغرض أصلح قصر بني بويه الذي أقام فيه، ووسّعه ووضع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أساس المسجد الجامع المعروف بجامع السلطان، وعاجلته منيته في سن مبكرة، فلم يستطيع إتمامه، فأكمل بعد وفاته ببضع سنين عام ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م)، وأقيمت في بغداد وفي غيرها من المدن عدة مدارس منها المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير المشهور نظام الملك عام ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) وسرعان ما ذاع صيتها وكانت في الجزء الجنوبي من الجانب الشرقي قريبة من ضفاف دجلة.

واشتهر الخليفتان المقتدي، وحكم من عام ٤٦٧ إلى عام ٤٨٧ هـ (١٠٧٥ - ١٠٩٤ م) والمستظهر، وحكم من عام ٤٨٧ إلى عام ٥١٢ هـ (١٠٩٤ - ١١١٨ م) بشغفهما بإقامة العمائر، ففي أوائل حكم المستظهر بنى سوراً حول الجانب الشرقي لبغداد حيث يقيم الخلفاء، أي في الحي المعروف باسم الحريم وما جاوره من احياء. وهذا السور بأسره هو عين سور بغداد بصورته التي بقيت إلى وقت مدحت باشا في القرن الماضي. ويقول ابن حوقل: إن الخليفة المستضيء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو الذي بنى هذا السور عام ٥٦٨ هـ (١١٧٣ م) ولو أن المستظهر هو الذي بدأ بنايته على التحقيق؛ ويقول ابن جبير الذي وصف هذا السور بعد ذلك ببضع سنين أي عام ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)، إن لهذا السور أربعة أبواب نذكرها مبتدئين من الجانب الذي يلي دجلة ناحية الشمال:

(١) باب السلطان ويعرف الآن بباب المعَظَّم.

(٢) باب الظفريّة، ويعرف الآن بالباب الوسطاني.

(٣) باب الحَلْبَة، وهو الآن مسدود.

(٤) باب البَصليَّة، ويعرف الآن بالباب الشرقي، وقد أطلق عليه نيبور ***Neibuhr*** اسم قرا لق قابي (قرانلق قابي).

وساد بغداد السلام بصفة عامة في القرنين الأخيرين من العهد العباسي. وكانت الحرائق بطبيعة الحال تشب كثيراً بين الحين والحين، كما حدث في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عام ٤٦٦ هـ (١٠٧٤ م) وعام ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) و ٦١٤ هـ (١٢١٧ م). وغمرها الفيضان الخطر عدة مرات، ولم تكن الفتن وأعمال الشغب نادرة الحدوث. وكان المجرمون وقطاع الطريق يلقون الرعب في قلوب سكان المدينة، ولكن بغداد لم ترزح تحت حصار شديد الوطأة إلا مرة واحدة على يد السلطان محمد الثاني السلجوقي عام ٥٥١ هـ (١١٥٧ م) وقد قص علينا أخبار هذا الحصار على اختلافها شاهد عيان هو الكاتب والمؤرخ عماد الدين. واضطر هذا السلطان آخر الأمر إلى الارتداد عنها دون أن يظفر بطائل.

وابتنى اثنان من الخلفاء المتأخرين منشآت لا تزال باقية إلى يومنا هذا، أولها هو الخليفة الناصر لدين الله الذي رمم باب الحلبة عام ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وزينه بنقش كان أول من عرفنا به نيبور، ودرسه حديثاً كل من متوخ *Mittwoch* وبرشم *M. Van Berchem*. وقد فصل البحاثة برشم الكلام عن نقش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رائع يزين حنيتي العقد الذي يعلو الباب ـ المسدود الآن ـ والمؤدي إلى البرج ويعرف الآن بباب الطلسم. أما الخليفة الثاني المستنصر بالله فقد ابتنى مدرسة نستدل من نقش نشره نيبور لأول مرة أنها بنيت عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ ـ ١٢٣٣ م). ولا تـزال هـذه العمارة قائمة على ضفة دجلة عند جسر القوارب، وهي الآن دار المكوس. والحق إن جزءاً كبيراً من النقش القديم اختفى وحل محله نقش آخر جديد. وهناك نقش آخر للخليفة المستنصر على جامع الخلفاء يرجع تاريخه إلى عام ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ ـ ١٢٣٦ م) واختفى هذا النقش الآن، وربما كانت مئذنة سوق الغزل القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم هي مئذنة هذا الجامع. وقد نشر أوپنهيم ***Oppenheim*** صورة لهذا النقش في كتابه. والراجح ان يكون الخليفة المستنصر قد رمم جامع الخلفاء وليس هو الذي شيده. ويقوم هذا الجامع وسط المدينة شرقي المستنصرية، ويقال إنه نفس جامع القصر الذي شيده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخليفة المكتفي الذي حكم من عام ٢٨٩ إلى عام ٢٩٥ هـ (٩٠٢ - ٩٠٧ م). وهو من أهم مساجد المدينة.

ووصل هولاكو وجنوده من المغول والترك إلى أسوار بغداد في المحرم من عام ٦٥٦ هـ (يناير ١٢٥٨ م) وفي الرابع من صفر (١٠ فبراير) وجد المستعصم آخر خلفاء بني العباس نفسه مضطراً إلى التسليم دون قيد ولا شرط. وقتل بعد ذلك بعشرة أيام هو وأفراد كثيرون من أهل بيته بينما نهبت المدينة وأحرقت، ولكنها لم تخرب بأسرها كغيرها من المدن التي فتحها هولاكو، لأنه كان يريد أن يتخذ منها عاصمة له، فنجده على العكس من ذلك قد أمر بترميم عدد من العمائر التي أصابها التخريب أكثر من سواها، مثل جامع القصر الذي سلفت الإشارة إليه.

ولما كنا لا نستطيع أن نفصّل القول في تاريخ بغداد منذ فتحها المغول فسنقتصر على المعالم البارزة منه: كانت المدينة حتى عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ -

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٣٤٠ م) تابعة للمملكة الإيلخانية او الهولاكية وجعلت حاضرة للعراق العربي. وفي هذا العهد زارها الرحالة المشهور ابن بطوطة عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) ومما يدعو إلى الأسف أن وصفه لها مأخوذ في جملته من ابن جبير. ويرجع وصف حمد الله مستوفي إلى هذا العهد أيضاً، أي إلى عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م). وفي عام ٧٤٠ هـ ظهر حسن بزرك واستقل بالأمر فيها وأسس الدولة الجلائرية، وقام بتشييد مدرسة تم بناؤها في عهد ولده أوبس، ولعل هذا كان عام ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م)، وسميت المرجانية نسبة إلى أمير يدعى مرجان، ولا يزال بناؤها قائماً، وقد نشرت النقوش التي عليه: نشر نيبور جزءاً منها ونشرها كلها برشم (كتابه المذكور ص ٤٥ وما بعدها).

واستمر حكم الأسرة الجلائرية إلى عام ١٤١٠ م، وفي أيامها استولى تيمور على بغداد مرتين؛ الأولى عام ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ - ١٣٩٣ م)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يلحق المدينة من فتحه ضرر جسيم. أما في المرة الثانية، عام ٨٠٣ هـ (١٤١٠ م) فقد ذُبح أهلها وخرب الكثير من المساكن والمنشآت العامة. ورجع السلطان أحمد الجلائري إلى بغداد بعد وفاة تيمور عام ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) وأصلح بقدر استطاعته الأسوار التي دمرها تيمور، ولم ينقض طويل وقت حتى قتله قره يوسف أمير القطيع الأسود من التركمان عام ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) واستولى رجاله على المدينة، وظلت في حوزتهم إلى عام ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ - ١٤٦٨ م) وهنالك انتزعها منهم تركمان القطيع الأبيض يقودهم أوزون حسن. وفي عام ٩١٤ هـ (١٥٠٧ - ١٥٠٨ م) غزا الشاه إسماعيل الصفوي بغداد وظلت في حوزة خلفائه إلى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م). واستعاد الشاه طهماسب المدينة للصفويين من يد ذي الفقار عام ٩٣٦ هـ (١٥٣٠ م). وكان هذا الزعيم الكردي قد جعل الخطبة باسم السلطان سليمان الأول العثماني أمداً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجيزاً. وفي عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) دخل السلطان سليمان الأول مدينة بغداد، وظل يحكمها منذ ذلك الوقت وال من قبل الأتراك إلى أن طلب الثائر بكير صوباشي معونة الشاه عباس الأول الصفوي فاستولى هذا على المدينة عام ١٠٣٣ هـ (١٦٢٣ م)، ولم يكن الترك عازمين بحال من الأحوال على ترك المدينة، فاستعادوها عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) بقيادة السلطان مراد الرابع نفسه. وسد مراد بهذه المناسبة باب الطلسم، ورمم عدة أضرحة مثل ضريح أبي حنيفة في قرية المعظم الحديثة على الشاطىء الشرقي لدجلة شمالي بغداد، وضريح عبدالقادر الجيلاني بداخلها. وفي هذا العهد هبطت بغداد إلى الدرك الأسفل، ويقول تاڤرنييه *Tavernier* عام ١٦٥٢ إن سكانها في ذلك الحين بلغوا ١٤,٠٠٠ نسمة فقط.

وأضحت بغداد من جديد قصبة ولاية تركية يحكمها هي والبصرة وال واحد في بعض الأحيان، وقد زودنا كل من نيبور وإيوار ببيان بأسماء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هؤلاء الولاة، وأكمل إيوار هـذا البيـان حتى عـام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م). وفي هذا العهد ازداد رخاء المدينة وتضاعف عدد سكانها حتى وصل في بداية القرن التاسع عشر إلى ١٥٠,٠٠٠ نسمة لم يبق منهم بعد الطاعون الذريع الذي اجتـاحهـا عـام ١٨٣١ م سوى ٣٠,٠٠٠ نسمة.

وتتميز مدة ولاية مدحت باشا من عام ١٨٦٩ إلى عام ١٨٧٢ م في تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية، إذ تم خلالها مد خط تلغرافي وترام تجره الخيول يصل إلى الكاظمين وفتح مدارس وإقامة منشآت أخرى نافعة، كما عمد هذا الباشا إلى إزالة السور القديم. وعلى هذا فإنا لا نجد اليوم منها إلا أرضا مرتفعة بها بقايا من الحصون القديمة. ووصل مدحت بين بغداد والبصرة بخط من القوارب البخارية بعد أن أعطى امتياز هذا الطريـق وطـريـق الخليـج الفارسي إلى شركة لنچ للملاحـة البخـاريـة ***Lynch Steam Navigation Company***. والآمـال العظيمـا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معقودة على إنشاء خط حديدي يصل بين آسية الصغرى والآستانة [1]، وبذلك توصل بغداد بالتجارة العالمية. وبغداد الآن مركز للتجارة مع جميع الأقطار المجاورة عامة وبلاد فارس خاصة.

ويقدر أوپنهيم عدد سكان المدينة وضواحيها بـ ٢٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠,٠٠٠ من المسلمين وغالبهم من الشيعة. ويذهب كوينيه ***Cuinet*** إلى أن عددهم ١٤٥,٠٠٠ من الأنفس، وببغداد كذلك ٤٠,٠٠٠ يهودي و ١٠,٠٠٠ نصراني معظمهم من الكاثوليك والأرمن الكرج.

---

(١) بوشر مد هذا الخط من بغداد الى سامراء قبل الحرب العالمية الاولى ومده الانكليز من سامراء الى بيجي « بعجة القديمة » في عام ١٩١٨، والاعمال جارية الآن لايصاله بخط الشرق بحيث لن ينتصف العام ١٩٣٩ الا وتجرى السكة مجراها.

عبدالرزاق الحسني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب ـ تخطيط المدينة القديمة

عرفنا من الإلمامة التاريخية السابقة أن بغداد الحديثة التي على الشاطىء الشرقي لدجلة لا تزال تشغل المساحة التي كانت تشغلها في العهد الأخير من خلافة بني العباس. ومع ذلك فقد كانت هناك في تلك الأيام أحياء أخرى تفصل بعضها عن البعض أراض خربة تمتد إلى ما يعرف الآن بالمعظَّم بما فيه ضريح أبي حنيفة وغيره من أئمة المسلمين. وكانت في هذا المكان مقبرة من أقدم المقابر في بغداد نسبت إلى الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد، وفيها قامت أضرحة الخلفاء المتأخرين. وإلى الجنوب من هذه المقبرة نشأت المدينة الشرقية القديمة المعروفة بالرصافة أو عسكر المهدي بما فيها قصره وجامع الرصافة، وهو من أهم المساجد التي شيدت في عهد الخلافة الإسلامية. وكانت تجاورها من الناحيتين الشرقية والجنوبية أحياء الشماسية ودار الروم والمخرَّم، وابتنى بنو بويه في هذا الحي الأخير دار المملكة، كما أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلاطين آل سلجوق كانوا يسكنونه كلما زاروا بغداد، وابتنى فيه ملكشاه جامع السلطان الذي سبقت الإشارة إليه، بيد أنه لم يبق لهذا المسجد أثر، مثله في ذلك مثل مسجد الرصافة، مع أن المسجدين بقيا بعد الفتح المغولي. وكانت هذه الأحياء تشغل ما بين قرية المعظم وما يعرف الآن بباب المعظم وبينهما مسيرة نصف ساعة. وكان في المدينة الشرقية الحالية دار الخلافة، وكانت في الأصل جوسق جعفر البرمكي (انظر هذه المادة) ثم انتقل إلى المأمون قبل اعتلائه الخلافة، ولم ينقل الخلفاء العباسيون مقرهم إليها إلا بعد رجوعهم من سامراء وشيدوا فيها عدة قصور أشهرها التاج. والمعتضد أول من وضع أساس هذه القصور، ولم يتم بناؤها إلا في عهد ولده وخليفته المقتفي، فهو الذي بنى المسجد الجامع الثالث، وإن كان هو الثاني من ناحية الترتيب التاريخي في المدينة الشرقية، وقد عرف بجامع القصر. وكان قصر التاج على ضفاف دجلة تحميه من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفيضان سدود، وإلى جانبه بنى المقتفي أيضاً قبة الحمار. وسبب تسميتها بهذا الاسم هو أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى قمتها على ظهر حمار يسير في طريق يدور صعدا حول البناء. وهذا النمط من أنماط البناء يذكرنا بالنمط الزقرتي القديم وله نظائر في أطلال سامراء، وفي بغداد نفسها مثال له هو ضريح الشيخ عمر السهروردي المتوفى عام ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) الذي لا يزال قائماً (انظر صورة هذا الضريح في كتاب ڤون أوپنهايم الذي سبق أن ذكرناه، ص ٢٤٦). وكل هذه العمائر التي يقال إن عددها بلغ في عهد المقتدر ثلاثاً وعشرين عمارة كانت مدينة قائمة بذاتها تعرف بالحريم، فيها من حدائق الحيوان والميادين وغير ذلك. وقد فصل الخطيب البغدادي الكلام عن هذه العمائر عند وصفه لاستقبال المقتدر لسفارة الروم عام ٣٠٥ هـ الموافق ٩١٧ - ٩١٨ م. وكان يحيط بالحريم كله سور له سبعة أبواب يضم ما يقرب من ثلث الجانب الشرقي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لبغداد. وإذا أردت زيادة في التفصيل فإننا نحيلك إلى الفصول الخاصة في كتاب *Le Strange* عن بغداد، ومن الطبيعي أنه قد حدثت تغييرات كبيرة أصابت هذا الموضع على تعاقب القرون؛ مثال ذلك أن قصر التاج وقبة الحمار أتت عليهما النيران عام ٥٤٩ هـ الموافق ١١٥٤ م.

ولم يبق شيء ما تقريباً من الجانب الغربي، وهو أقدم من الجانب الذي ذكرناه، اللهم إلا أضرحة قليلة، وعلى الرغم من أنها لم تبق في شكلها القديم فإنها ما زالت قيمَة جداً بالنسبة لتخطيط المدينة القديم، لأن بناءها أعيد في المواضع نفسها التي كانت تقوم عليها في الزمن الغابر، وهذه الأضرحة هي ضريح معروف الكرخي وضريحا الكاظمين الشيعيين الكبيرين ونعني بهما الإمام السابع موسى الكاظم المتوفى عام ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) والإمام التاسع محمد الجواد المتوفى عام ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م)؛ ولسنا في حاجة إلى ذكر الضريح المنسوب إلى زبيدة زوجة هارون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرشيد المتوفاة عام ٢٠٦ هـ (٨٣١ م) لأن ابن الأثير يقرر في جلاء أنها لم تدفن في هذا الموضع (ابن الأثير، طبعة تورنبرج، جـ ٩، ص ٣٩٥). والنقش الذي على هذا الضريح المؤيد لتلك الرواية الخاطئة والذي وصفه نيبور يرجع [١] إلى عام ١١٣١ هـ (١٧١٨ م). ونستطيع أن نصرف النظر عن بعض الأضرحة الأخرى وعن رباط الدراويش الذي بناه قلج أرسلان وكتب عليه نقش تاريخه عام ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م). وضريح الكاظمين على الضفة اليمنى لدجلة تجاه المعظم، وهو الآن مكان هام يتراوح عدد سكانه بين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠ نسمة

---

(١) لا صحة لنسبة القبر الذي في الكرخ من بغداد (المعروف بقبر الست زبيدة) الى زبيدة زوجة الرشيد لان المؤرخين اجمعوا على انها دفنت في مقابر قريش الكائنة في صحن الكاظمين، اما المدفونة في هذا القبر فهي زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق وزوج السلطان مسعود ابن السلطان محمد ملكشاه وكانت توفيت في سنة ٥٣٢ هجرية (١١٣٧ م).

عبد الرزاق الحسني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويربطه الترام ببغداد. وكان في هذا المكان خلال العصور القديمة مقبرة قريش بالقرب من باب التِبن. وتخرب ضريح الكاظمين، ولكنه رمم عدة مرات بعد ذلك. ويوجد في هذا الموضع اليوم مسجد شيد في بداية القرن التاسع عشر له أربع مآذن وبرج للساعة. وقبة هذا المسجد ومآذنه مغطاة بقشرة من الذهب وبابه المرتفع مزين بالقاشاني الجميل، ويزوره سنوياً أفواج من الشيعة، أما أهل السنة فقد كان لهم في الجزء الشمالي من الجانب الغربي مزار مشهور كانوا يحجون إليه في عهد الخلافة العباسية، وهو قبر أحمد ابن حنبل. ويقول « له سترانج » إن هذا الضريح زال عندما تخرب الحي الذي كان قائماً فيه، ومنذ ذلك الوقت ظن الناس خطأ أن قبر ابنه عبدالله على ضفة دجلة هو قبر أبيه إلى أن زال هذا القبر أيضاً بفعل الفيضان. وكان حي الحربية يشغل بالتقريب المكان الذي بين الجزء الشمالي الأقصى من الجانب الغربي لبغداد وبين مدينة المنصور الأصلية، وكان هذا الحي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يواجه الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، وكانت في هذه البقعة عدة أحياء أخرى تغيرت أسماؤها عدة مرات على مر العصور، ولا نستطيع هنا تفصيل القول فيها وحسبنا أن نقول إن هذا الجزء من بغداد قد وصل إلى درجة أصبحت أجزاؤه المأهولة بالسكان ضواحي قائمة بذاتها تفصلها بعضها عن بعض خرائب متسعة.

ولم يبق أثر من مدينة المنصور، أي مدينة السلام أو الزوراء بما فيها من أسوار وأبواب، وموقعها الخاص الفريد الذي نعرف أدق تفاصيله من أوصاف مؤلفي العرب كاليعقوبي والخطيب البغدادي يقتضي منا أن نسهب في الحديث عنه، ولكن يجدر بنا أن نمر عليه مر الكرام ونحيل القارىء إلى الفصول الأولى من كتاب له سترانج. ولسنا ندهش من اختفاء هذه المدينة اختفاء تاماً لأن العباسيين نقلوا دار المملكة إلى الجانب الشرقي عندما رجعوا من سامراء. ولم يعنوا بالمحافظة على الأسوار والعمائر العامة، اللهم إلا إذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استثنينا المسجد الجامع. ولم يحفل أحد بإعادة بناء ما خربه الفيضان والحريق والحصار والفتن، وفقدت المدينة جزءاً من سكانها. وبقي الجزء المجاور لباب البصرة من بغداد مدة أطول من غيره، ولذلك فإن الناس لم يعودوا يتحدثون في القرون الأخيرة قبل عام ٦٥٦ هـ عن مدينة المنصور، بل اقتصر حديثهم على حي باب البصرة.

وكانت أجزاء المدينة المختلفة التي تمتد غرباً وجنوباً حول مدينة المنصور تكوّن المركز التجاري والصناعي في صدر العهد العباسي، لأن هذا الموقع كان ملائماً. ففيه تكثر القنوات التي كانت ـ شأن الصراة ونهر عيسى ـ وسيلة من الوسائل المباشرة للاتصال بالفرات، فاجتذبت إليها سكاناً يتميزون بالنشاط وحب العمل. وفي هذا الموضع وجدت ضاحية الكرخ التي كثيراً ما ذكرت في تاريخ بغداد والتي كان بين أهلها من الشيعة وبين جيرانهم من الأحياء الأخرى معارك دموية، وبخاصة من يقطنون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باب البصرة. وبقي هذا الجزء من المدينة إلى يومنا هذا. ويسمي الترك الجانب الغربي من بغداد باسم « قارشي ياقه » ومعناه بالعربية الجانب الآخر، وفي لهجة العراق « هذاك الجانب » [أي ذلك الجانب] والجسور المقامة على القوارب تيسر عبور دجلة في عصرنا هذا كما كان الحال في العصور المتقدمة، ولو أن مواضعها قد تغيرت في كثير من الأحيان.

تعليق على مادّة "بغداد"
بَغْدَاد حَديثًا

ترك الترك بغداد ليلة الحادي عشر من مارس سنة ١٩١٧ وليس فيها من الحضارة والعمران ما يستحق الذكر. ولولا المباني التي شادها مدحت باشا والي بغداد (١٨٦٩ - ١٨٧٣ م) والشارع العام الوحيد الذي بدأ بفتحه خليل باشا في عام ١٩١٦ م، لقلنا إنهم تركوا بغداد ولا أثر لهم فيها يذكر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودخلها الإنكليز في اليوم التالي فأتموا فتح الشارع المذكور وشرعوا في تنظيمها تنظيما عصرياً جديداً، فقد أناروها بالكهرباء وبلطوا بعض الجادات بالزفت وأقاموا بعض البنايات المهمة، وقام الحكم الوطني فيها في ٢١ آب سنة ١٩٢١، فأخذت هذه العاصمة القديمة تسترجع ما اندثر من مجدها وما غبر من عزها، وهي تمتد اليوم من الأعظمية إلى الكرادة الشرقية بمسافة خمسة عشر ميلا تزينها القصور الشاهقة والبنايات الفخمة، وتتخللها البساتين الكثيرة والحدائق النضرة، ويخترقها دجلة كما كان في السابق فيشطرها شطرين يسمى الأيمن منهما بالرصافة ويدعى الثاني بالكرخ، وقد أقيمت عليه عدة أجسر بعضها حديدي والبعض الآخر مقام على قوارب من حديد، وتخترقها من الشمال إلى الجنوب جادتان فسيحتان مبلطتان تقوم على جوانبهما عدة دور ومخازن وتقطعها جادات فرعية مبلطة ومنارة بالكهربية. وتعد نفوسها حسب إحصاء عام ١٩٣٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣٦٧,٤٥٠) نسمة عدا الأجانب. وكانت المنازل في بغداد تبنى مفتوحة بالآجر الأصفر على الطريقة الشرقية، أما الآن فإنها تبنى مغلقة على الطراز الأوربي الحديث. ويستعمل البغداديون الآن الحديد والأسمنت وسائر المواد الأوربية المتينة في معظم منشآتهم.

ودور العلم في بغداد على اختلاف درجاتها كثيرة، وكذا المطابع والمكتبات العامة والخاصة، ويصدر فيها من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والنشرات الثقافية عدد لا يستهان به، وتمتد منها خطوط حديدية إلى بعض الأنحاء تبلغ مسافتها نحو ألف ميل وتنزل في مطارها الكبير جل الطائرات المارة على طريق بغداد إلى ايران والهند وأوربا، وتسير في جاداتها وشوارعها ما لا يقل عن الثلاثة آلاف سيارة ومركبة.

وتجارة المدينة واسعة جداً وأسواقها حافلة بأنواع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البضائع الأجنبية والشرقية وفيها عدة شركات ومصارف أجنبية ومصانعها المختلفة والكثيرة تمون الجيش والشرطة وطلاب المدارس بأنفس المنتوجات المحلية وكذا التبغ والسكاير وبعض الحاجيات الطفيفة.

وفيها دور للآثار القديمة لا بأس بها. ومن الآثار العباسية التي لا تزال ماثلة للعيان، منارة جامع الخلفاء المعروفة اليوم بمنارة سوق الغزل وبعض غرف من قصر المأمون في القلعة المدفعية وجدر من المدرسة المستنصرية الشهيرة ومراقد معروف الكرخي ومنصور الحلاج وجنيد والشيخ عبدالقادر الكيلاني وأبي حنيفة النعمان بن ثابت والشيخ عمر السهروردي وغيرها.

ومن مباني بغداد الفخمة الحالية قصر الزهور والمطار المدني والبلاط الملكي والمستشفى الملكي ودور الحكومة وقصور الوزراء والأمراء وبيوت المتمولين ومحطات البث اللاسلكي ودور السينما وبعض الفنادق الكبرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبغداد فضلا عن كونها عاصمة العراق ومقر البرلمان فهي مركز لواء بغداد الذي تتبعه عدة أقضية، فالعراق يقسم الآن إلى (١٤) لواء، ولكل لواء أقضية ولكل قضاء نواحيه. ورأس الإدارة في اللواء هو المتصرف، وكان هذا يعين بإرادة ملكية بناء على اقتراح وزير الداخلية ومصادقة مجلس الوزراء، أما رأس الإدارة في القضاء فهو القائمقام وكان هذا يعين بإرادة ملكية أيضاً بناء على ترشيح الوزير المختص. وأما رأس الإدارة في الناحية فهو المدير وهذا يعين من قبل وزارة الداخلية فقط.

السيد عبدالرزاق الحسني

بغداد: تقع بغداد على ضفتي نهر دجلة على خط عرض ٣٣° ٢٦' ١٨" شمالا، وخط طول ٤٤° ٢٣' ٩" شرقا. وقد ظلت هذه المدينة ـ منذ إنشائها في القرن الثامن الميلادي ـ مقرا للخلافة العباسية حتى سقوطها، والعاصمة الثقافية للعالم قرونا، وأصبحت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد عام ١٢٥٨ هـ قصبة لولاية، وظلت تحت الحكم العثماني حاضرة ولاية بغداد، ثم أصبحت عام ١٩٢١ عاصمة العراق الحديثة.

التاريخ

بغداد من الأسماء الجاهلية، ولاسمها صلة بالمحلات السابقة في هذا الموضع. ولقد أدرك هذه الحقيقة كتّاب العرب، فأخذوا يبحثون، كما هي العادة، عن أصوله الفارسية، وتتضارب آراؤهم في تفسير هذا الاسم، وأشيع هذه الآراء أنه يعني «عطية الله» أو «هبة الله» (أو الوثن). ويميل الكتاب المحدثون بوجه عام إلى تفضيل هذا الاشتقاق الفارسي. ويميل آخرون إلى القول بأن الاسم من أصل آرامي ومعناه «بيت الأغنام أو حظيرتها» (ي. غَنِيمة، و أ. الكرملي في لغة العرب، جـ ٤، ص ٢٧؛ جـ ٦، ص ٧٤٨، لاحظ إشارة الطبري إلى سوق البَقر في موضع بغداد، جـ ٣، ص ٢٧٧).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويفضل دلتش *Delitzsch* الرأي القائل بأن الاسم من أصل آرامي دون أن يفسر المعنى وثمة وثيقة شرعية ترجع إلى عهد حمورابي (١٨٠٠ ق، م) يرد فيها ذكر مدينة بكدادو. وهذا يدل على أن الاسم كان يستعمل قبل حمورابي، وعلى وجه التحديد قبل أن يتعرض لأي تأثير فارسي محتمل. والحق إن كلمتي «بَـكْ» و «حُو» كان يعبر عنهما بـالـرسم نفسـه. ومهما يكن من شيء فإن هنـاك حجـرا مـن معـالم الحدود يرجع إلى عصر الملك الكَسّنى[1] نزيماروتّاش (١٣٤١ - ١٣١٦ ق م) يرد فيه ذكر مدينة پيلاري *Pilari* على ضفة «نهر شَرّى» في ناحية بكدادي، هذا بالإضافة إلى أن ذكر بكداثا مرارا عديدة في التلمود يجعل كلمـة «بـكْ» أرجـح في القـراءة. وهناك حجر آخر من معالم الحدود يرجع إلى عهد الملك البابلي مردخ أپالدّين (١٢٠٨ - ١١٩٥ ق، م) يتردد فيه ذكر مدينة بغداد.

---

(١) ينتمي الى شعب غير سامي غزا بابل سنة ١٧٤٦ ق.م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد قام الملك أداد ـ نيرارى الثاني (٩١١ ـ ٨٩١ ق، م) بنهب محلات من بينها بكدا (دو)، وأصبحت بغداد في القرن الثامن ق.م محلة آرامية، ويذكر تكلات بِلّصَّر *Tiglatpilasser* الثالث (٧٤٥ ـ ٧٧٢ ق.م) بكدادو في معرض حديثه عن قبيلة آرامية.

ومن الإنصاف، والحالة هذه، أن نسلم بأن أصول الاسم يكتنفها الغموض. ولا يغير من الموقف معرفة أن الإيرانيين استعملوا كلمة «بـگ» حوالى القرن الثامن ق.م للدلالة على «رب» وأنها كانت تظهر في أسماء الأشخاص.

وأطلق المنصور على مدينته اسم مدينة السلام تيمناً بجنة الخُلد (القرآن: سورة الأنعام، آية ١٢٧، سورة يونس، آية ٢٦). وكان هذا هو الاسم الرسمي الذي يكتب في الوثائق والسكة والأوزان إلخ، واستعملت من الاسم صيغ مختلفة وبخاصة بُغدان وتسميات مثل مدينة أبي جعفر، ومدينة المنصور، ومدينة الخلفاء،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والزَوْراء (ابن الفقيه، ورقة رقم ٢٩ ب، ياقوت، جـ ١، ص ٦٧٨؛ ابن رسته، ص ١٠٨). ويبدو أن الزوراء اسم قديم كما يقول الفخري (الفخري، ص ١٤٥؛ انظر المستوفي: نزهة القلوب، ص ٤١). ومن شاء الاطلاع على التفسيرات المتأخرة فلينظر المسعودي. ويروي المصنفون العرب أن المنصور شيد مدينته في موضع كانت تقوم فيه محلات جاهلية أهمها قرية بغداد، على الضفة الغربية لنهر دجلة شمالي قناة الصراة. ويرى البعض أنها قرية بادورَيا، ويشيرون إلى سوقها السنوية، وسوف يعيننا هذا على أن نفسر لم أصبحت الكرخ من بعد حيا للتجار. ولقد كانت هناك محلات قديمة، جلها آرامية، على الجانب الغربي في جوار الكرخ، ومن بين هذه المحلات: الخَطّابيةِ (بجوار باب الشام) والشَرَفانِيّة، وشماليها الوَرْدانِيّة التي أصبحت في نطاق ربع الحربية، ومنها سونايا قرب ملتقى قناة الصراة بنهر دجلة (أصبح اسمها فيما بعد «العتيقة») وقَطفْتا عند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطرف الذي تصب فيه قناة رُفَيْل في نهر دجلة، وبُراثا حيث تتفرع قناة كرخايا من قناة عيسى. وكانت تقوم ثلاث محلات صغيرة بين قناة كرخايا وقناة الصراة وهي: سال: ووَرْثالا (ربع القَلاّعين فيما بعد) وَبنَاوْرَى. أما الكرخ نفسها (وكلمة كرخا الآرامية معناها بلدة حصينة) فتتخذ اسمها من قرية أقدم منها تنسبها الروايات الفارسية إلى سابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩ م).

ويقول إكسنيفون إن الأكميليين كانوا يملكون بساتين فسيحة في ناحية بغداد (عند سِتّاكَه *Sittake*) ويشير المصنفون العرب إلى بستانين منها. وكان قرب مصب نهر عيسى قصر بناه الساسانيون (قصر سابور)، وشيد المنصور فيما بعد قنطرة في موضعه. أما القنطرة العتيقة القائمة فوق قناة الصراة، جنوبي غرب باب الكوفة فقد بناها الساسانيون، وعلى الجانب الشرقي سوق الثلاثاء ومقبرة الخيزران، ويرجعان إلى العصر الجاهلي. وكان في المنطقة نفسها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أديرة شيدت في الجاهلية مثل دير مارفَثْيون (الدير العتيق) حيث شيد قصر الخَلْد، ودير بستان القُسّ، ودير الجاثليق الذي دفن بالقرب منه الشيخ معروف.

ولم يكن لأي محلة من هذه المحلات القديمة شأن من الناحيتين السياسية أو التجارية، وعلى هذا الأساس يمكن أن تعد مدينة المنصور منشأة جديدة. وما أكثر ما خلط الرحالة الأوروبيون في القرن الوسطى بين بغداد وبابل، كما خلطوا في بعض الأحيان بينها وبين سلوقية، وترد في أخبارهم باسم بابل وبابلّونيا إلخ. والتسمية الأخيرة الخاطئة لبغداد شائعة كذلك في التفاسير التلمودية لشيوخ العشائر البابلية (في العصر العباسي)، وفي مصنفات اليهود المتأخرين، وكان بيتروده لاڤاله الذي عاش في بغداد (١٦١٦ - ١٦١٧ م) أول من دحض هذا الخطأ الذي فشا في عهده. وكان الناس في الغرب حتى القرن السابع عشر يعرفون بصفة عامة اسم بغداد بالصيغة المحرّفة بلدخ *Baldack* (بَلْدَكَو *Baldacco*)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما كانت مشتقة من الصيغة الصينية للاسم.

وحول العباسيون أبصارهم إلى الشرق، وأخذوا يبحثون عن عاصمة جديدة ترمز لدولتهم، فانتقل السفاح أول خلفاء بني العباس من الكوفة إلى الأنبار، وانتقل المنصور إلى الهاشمية بالقرب من الكوفة، بيد أنه سرعان ما أدرك أن الكوفة النزاعة للشغب والمتعصبة للعلويين لها أثر سيء على جيشه، وفي الوقت نفسه كان من السهل اقتحام الهاشمية كما ثبت من فتنة الراوَنْدِيَّة (انظر ياقوت، جـ ١، ص ٦٨٠ - ٦٨١؛ الطبري، جـ ٣، ص ٢٧١ - ٢٧٢؛ الفخري، طبعة القاهرة، ص ١٤٣)، ومن ثم أخذ يبحث عن موقع استراتيجي.

ووقع اختياره على موقع بغداد بعد استقصاء دقيق، لاعتبارات عسكرية واقتصادية ومناخية، فهو يقوم في سهل خصب صالح للزراعة على ضفتي النهر كلتيهما، وعلى طريق خراسان، وعند ملتقى عدة